صدى زيارة آرثر جيمس بلفور لفلسطين وسوريا ١٩٢٥م

د / محمد محمود محمود حمد الدودانى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب جامعة دمياط

مقدمة:

يعد تصريح بلفور نوفمبر ١٩١٧ اللبنة الأولى في تأسيس الوطن القومي لليهود في فلسطين و إقامة الدولة العبرية فيما بعد ، و لما ارتبط التصريح بآرثر جيمس بلفور ، اتفق العقل الجمعي العربي على رفض التصريح ، و أضحت الصورة الذهنية لشخص بلفور لدى العرب قاتمه و مفعمة بالكراهية له ، و ظهر ذلك بجلاء عند زيارته لفلسطين وسوريا في مارس وأبريل ١٩٢٥ ، اثر دعوته من قبل الحركة الصهيونية لافتتاح الجامعة العبرية في القدس , وكانت المرة الأولى والأخيرة التي زار فيها فلسطين.

و لما لبى بلفور الدعوة قرر التجول في مصر وسوريا ولبنان إلى جانب مهمته في فلسطين، ومذ وطأت قدماه مصر واجه العديد من المظاهرات من قبل الشوام إلى جانب إخوانهم المصريين ، وعلى العكس في فلسطين لم يجد سوى مدن شاغرة من سكانها العرب، ولكن ما أن عبر القطار الذي استقله من فلسطين إلى الحدود السورية وُجه بعاصفة شديدة ومتقدة من المتظاهرين الثائرين ولم تخمد طوال مدة إقامته في دمشق وحتى تهريبه منها إلى بلاده ، ومن ثم تركز هذه الدراسة على موقف الرأي العام في فلسطين وسوريا من وجود بلفور بهما.

وعليه تطمح هذه الدراسة في الإجابة على عدة تساؤلات منها:

- ما واقع وجود بلفور في فلسطين على الرأي العام الفلسطيني؟
- لماذا عزف الفلسطينيون عن استقبال بلفور ؟
- لماذا كانت معارضة السوريون لزيارة بلفور قوية؟
- هل لعبت السلطات الفرنسية في سوريا دورا في إثارة الجماهير السورية ضد بلفور؟

وتنقسم هذه الدراسة الى عدة محاور؛ يدور أولها حول صدى تصريح بلفور في فلسطين وسوريا ، ويعرج المحور الثاني على زيارة بلفور لفلسطين وموقف الرأي العام الفلسطيني بشقيه المسلم والمسيحي من الزيارة، ثم ندلف بالمحور الثالث إلى

زيارة بلفور إلى سوريا والمعارضة القوية التي واجهتها منذ علم السوريون بتلك الزيارة وفترة إقامة بلفور بدمشق الى ان خرج منها.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على بعض وثائق وزارة الخارجية البريطانية Foreign Office والتي تم اختصارها ل F.O، إلى جانب بعض الدوريات العربية والأجنبية التي عاصرت زيارة بلفور لبلاد الشام، فضلا على بعض المصادر العربية والأجنبية التي فسرت جوانب عديدة من هذه الدراسة.

صدى تصريح بلفور في فلسطين وسوريا:

يعود الاتصال الأول بين آرثر جيمس بلفور Arthur James Balfour[١] والحركة الصهيونية إلى عام ١٩٠٥، عندما كان يشغل الأول منصب رئيس الوزراء ١٩٠٢-١٩٠٥م ، حيث التقي بحاييم وايزمان- أحد زعماء الحركة الصهيونية - للمرة الأولى في اجتماعه بجمهور حزب المحافظين بمدينة مانشستر في ديسمبر من ١٩٠٥م[٢]، وكان وايزمان يعمل أستاذا في الكيمياء في جامعة مانشستر بالمدينة ذاتها ذات الأغلبية اليهودية، حينئذ ناقش عرض بريطانيا على الحركة الصهيونية بتكوين وطنا لهم في أوغندا (الذي قدمه جوزيف تشمبرلن ***Chamberlain Joseph*** و لانسداون Lansdowne - عضوي حكومة بلفور- إلى تيودور هرتزل Herzl Theodorعام ١٩٠٣) ، إثر ذلك اقتنع وايزمان بأن رجالات الدولة في بريطانيا لم يكن لديهم معلومات كافية عن الصهيونية ، وأنه يجب تشجيع بلفور على الاعتقاد بأن فلسطين هي الحل الأفضل لليهود، وذلك لدوافع دينية خالصة[٣] .

ثم التقيا مرة أخرى في عام ١٩٠٦ في مانشستر، وهو اللقاء الذى أقتنع بلفور فيه بالأفكار الصهيونية وأحقية اليهود في العودة إلى فلسطين [٤], ثم التقيا مرة أخرى في ١٩١٥ إبان الحرب العالمية الأولى(١٩١٤-١٩١٨)، عندما كان بلفور يحمل حقيبة البحرية في حكومة اسكويث Asquith [٥] ، وقتئذ استعانت حكومة لندن بخبرة وايزمان في مجال صناعة المتفجرات وقد عينته في الأميرالية ومن ثم أصبح

بلفور رئيسه المباشر[٦] في غضون ذلك، حولت الحملة العسكرية العثمانية على قناة السويس في مطلع عام ١٩١٥ أنظار الساسة البريطانيين وعلى رأسهم بلفور إلى فلسطين وأدركوا أنها خط الدفاع الأول لحماية المصالح البريطانية في المنطقة بما في ذلك مصر، والسيطرة عل قناة السويس ، وحماية الممرات البحرية إلى الهند وحقول النفط في بلاد فارس، وايقنوا أن ذلك لن يأت إلا بإقامة دولة حليفة لبريطانيا في فلسطين [٧].

عندئذ تمكن الصهاينة من إقناع الحكومة البريطانية من أن قيام وطن يهودي في فلسطين سيكون خير ضمانة لتأمين الاستراتيجية البريطانية في المنطقة والطريق إلى الهند [٨].

وبعد سقوط وزارة أسكويث في نوفمبر ١٩١٦ ، شغل بلفور منصب وزير الخارجية في حكومة لويد جورج[٩]، ولأسباب تتعلق بعلاقة بريطانيا وأعضاء وزارة لويد جورج باليهود ولاستقطابهم في الحرب العالمية الأولى لصف دول الوفاق صدر تصريح بلفور بعد جهود حثيثة بذلها بلفور مع يهود الولايات المتحدة وعلى رأسهم لويس براندیس Brandies والمسئولين الأمريكان وذلك في أبريل ١٩١٧م، وكذا إقناعه لبعض أعضاء حكومته وعلى راسهم كيرزون Curzon بضرورة إصدار التصريح لصالح بريطانيا [١٠].

وقبيل صدور التصريح قدم حاييم وايزمان واللورد والتر روتشليد Lord Walter Rothschild مذكرة لبلفور جاء فيها أنهما يأملان النظر إلى المسألة اليهودية في ضوء مصالح الإمبراطورية البريطانية والمبادئ التي يدافع عنها الحلفاء، وعليه تم مناقشة صيغة التصريح بين الحكومة البريطانية والحركة الصهيونية في الفترة ما بين شهري يوليو ونوفمبر ١٩١٧ وعرضت تلك المناقشات على الإدارة الأمريكية بقيادة الرئيس الأمريكي ويلسن وكذا المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة وفرنسا[١١] ، ومن ثم انطوى التصريح الذي صدر باسم تصريح بلفور في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ على قيام وطن قومي في فلسطين كموطن للشعب اليهودي " على أساس أنه لن يتم فعل أي شيء قد يضر بالحقوق المدنية والدينية للعرب وغيرهم من سكان فلسطين، أو الحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع

بـه اليهـود فـي أي بلـد آخـر"، مـع ضـمان الحقـوق المنفصـلة والمتسـاوية لجميـع الشعوب(١٢)

علق بلفور علـى التصـريح بأنـه جـاء صـادرا مـن الحكومـة ولـيس قـرارا فرديـا كمـا أنـه يعبـر عـن المصـلحة الذاتيـة لـبلاده والموقـف الأخلاقـي المسـتنير(١٣) الـذي كـان علـى حكومة بلاده تبنيه، وأن هذه السياسة المعلنة هي المتبعة للعالم المتحضر(١٤).

علـى مـا يبـدو أن بلفـور قـد حمـل حكومتـه مسـئولية صـدور التصـريح حتـى يبـدو عمـلا حكوميـا جماعيـا ولـيس خاصـا بشـخص " بلفـور"، علـى الـرغم مـن أنـه كـان الأكثر تبنيا وحرصا على صدور التصريح.

وخـلال عـامي ١٩٢١ و ١٩٢٢ كـان بلفـور فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة رئيسـا للبعثـة البريطانيـة فـي مـؤتمر واشـنطن البحـري، أثنـاء وجـوده فـي السـفارة البريطانيـة، انتهـز الفرصـة للقـاء الوفـود الصـهيونية التـي كانـت تضـغط مـن أجـل قبـول بريطانيا الانتداب على فلسطين .

وفـي يونيـو عـام ١٩٢٢، ألقـى بلفـور خطابًـا فـي مجلـس اللـوردات البريطـاني حـث فيـه بريطانيـا علـى قبـول فـرض الانتـداب علـى فلسـطين، وتقـدَّم بمسـودة قـرار الانتداب لعصبة الأمم(١٥).

صـفوة القـول: إن بلفـور كـان علـى علاقـة وطيـدة بزعمـاء الحركـة الصـهيونية والتـي ظهـرت بشـكل جلـى إبـان الحـرب العالميـة الأولـى حيـث كـان يشـغل اهـم حقائـب الحكومـات البريطانيـة البحريـة والخارجيـة، ونظـرا لحاجـة حكومـة لنـدن إلـى الحركـة الصـهيونية إبـان الحـرب مـن ناحيـة وتعـاطف بلفـور معهـا مـن ناحيـة أخـرى أصـبح الأخيـر أكثـر ديناميكيـة فـي اتصـاله بزعمـاء الحركـة الصـهيونية وتذليلـه للصـعوبات التي واجهت وضع فلسطين تحت الهيمنة البريطانية .

خلـق صـدور تصـريح بلفـور فزعـا لـدى العـرب لاسـيما مـن لهـم اتصـال مباشـر بالحلفـاء، ففـي فلسـطين انـدلعت المظـاهرات المنـددة بالتصـريح ، وأرسـل زعمـاء الحركـة الوطنيـة فـي فلسـطين وعلـى رأسـهم المفتـي أمـين الحسـيني مـذكرات الاحتجـاج إلـى الحكومـة البريطانيـة، وقـام عـدد مـن زعمـاء الحركـة الوطنيـة بمقابلـة ليوبولـد امـرى Leopold Amery وقـدموا إليـه احتجـاجهم علـى وعـد بلفـور، وعلـى سياسـة

الحكومة البريطانية في فلسطين المضرة بمصالح العرب، وقد حاول إمري إزالة هذه المخاوف بتفسيره الجديد لهذا الوعد فأكد أن غاية الحكومة البريطانية أن تجعل فلسطين الوطن القومي للعرب بكل معني الكلمة، مع إعطاء الشعب اليهودي فرصة ليؤسس له وطنا قومياً، (١٦).

ولما أقر مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠ الانتداب البريطاني على فلسطين، على أن تلتزم بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور، والذي كان إيذانا لبدء صراعاً جديداً بين العرب من جهة، والصهيونية والاستعمار البريطاني من جهة أخرى، وما أن وصلت قرارات مؤتمر سان ريمو إلى فلسطين اجتاحت البلاد موجة من الاحتجاجات ضد هذه السياسة(١٧).

وخلال الفترة ما بين ١٣-١٩ ديسمبر ١٩٢٠ انعقد المؤتمر العربي الأول في فلسطين، وأعلن المؤتمر ثلاثة مبادئ للحركة الوطنية، هي: شجب السياسة الصهيونية التي تنطوي على إقامة وطن قومي يهودي، والمبنية على أساس تصريح بلفور، ورفض مبدأ الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، والمطالبة بإقامة حكومة تمثيلية وطنية مستقلة(١٨).

وعلى الرغم من الرفض الفلسطيني للتصريح، إلا أن بريطانيا أصرت على موقفها، وأصدرت في عام ١٩٢٢م الكتاب الأسود، والذي أكد على التزام الحكومة البريطانية بالتصريح، وتشجيع الهجرة، ونتيجة لذلك اجتاحت فلسطين سلسلة من المظاهرات المنددة بالسياسة البريطانية، وفتح باب الهجرة، وشراء الأراضي لليهود(١٩)، ، ولامتصاص نقمة الفلسطينيين على ما ورد في الكتاب الأسود، أخبر ليوبولد إمري Leopold Amery وزير المستعمرات الوفد العربي أن الإعلان "لم يفكر في تحويل فلسطين ككل إلى وطن قومي لليهود، ولكن يجب تأسيس الوطن في فلسطين (٢٠)، وقد قصد من ذلك ان اليهود سوف يعيشون بجانب العرب معا في فلسطين وبالتالي لن يستأثروا بفلسطين ولن تقام دولة خاصة بهم.، ومع ذلك استمر حنق العرب على بريطانيا والتصريح المشئوم إلى قدوم بلفور لفلسطين في مارس وإبريل ١٩٢٥.

أما في سوريا فعقب صدور تصريح بلفور اجتاحت المناطق السورية سلسلة من المظاهرات، وشكل السوريون لجنة لدعم فلسطين[٢١]. حيث نظر إليه السوريون على انه يمثل تجزئة بلاد الشام وسيطرة بريطانيا على فلسطين وفقدان صبغتها العربية[٢٢]، كما أثار التصريح موجة من الاحتجاج لدي السياسيين والمثقفين السوريين في مصر[٢٣] ، فبعثوا ببرقية احتجاج إلى بلفور أكدوا فيها أن فلسطين جزء حيوي من الشام، ولا يقبلون بفصلها سياسياً أو اجتماعياً[٢٤].

ردت الحكومة البريطانية على تلك البرقية في ١٦ نوفمبر ١٩١٧م بأن من مصلحة السوريين العمل بتفاهم مع اليهود والأرمن لتحرير البلاد من نير الترك، وأن معارضتهم لليهود ستضر بالقضية العربية، وأنهم سوف يحققون هدفهم في فلسطين لا محالة، رضي العرب أو كرهوا، وأضاف كلايتون Clayton رئيس المخابرات البريطانية أنه لن تقام في فلسطين دولة يهودية[٢٥].

ونجح في إقناع السياسيين السوريين من أعضاء جمعية الاتحاد السوري في القاهرة بالجلوس إلى عنصرين من أعضاء اللجنة الصهيونية، مؤكدًا لهم أن وايزمان يبذل جهده من أجل إقامة فلسطين بريطانية، وحاول إقناعهم بفكرة التعاون بين العرب والصهيونيين، وقد قرّر المجتمعون على إثر ذلك اللقاء تكرار مثل تلك الاجتماعات[٢٦].

وتزامنا مع تلك الجهود في اتجاه النخبة السياسية العربية، تحرك الإنجليز في اتجاه الصهيونيين من أجل تقريب وجهات النظر بين الطرفين[٢٧].

ويذكر البعض أن الزعماء السوريين في مصر شعروا بالارتياح بعد تأكيدات كلايتون، كما صدقوا ما ذهب إليه وايزمان من أن الصهيونيين لا يرغبون في إقامة حكومة يهودية[٢٨].

وقد اقتنع السوريون في مصر بما جاء على لسان المسؤولين البريطانيين، خاصة وأنهم كانوا يعيشون في كنف بريطانيا، ويضعون ثقتهم في عدالتها، لدرجة أن أحدهم وهو سليمان بك نصيف طالب بضرورة شعور العرب بالثقة في بريطانيا، وأن سياستها تنطوي على أن مصالح العرب لن تهمل[٢٩].

أما في المناطق التي تشكلت منها دولة لبنان فيما بعد، فنظراً لخصوصية الوضع الطائفي فيها – المسلمين والموارنة–، فقد انقسم موقفهما حيال تصريح بلفور، فبالنسبة للمسلمين شأنهم شأن غيرهم من المسلمين فقد عارضوا التصريح، متفقين في ذلك مع توجه القومين العرب، واندلعت المظاهرات في عدة مناطق تشجب التصريح، ووجهوا عرائض الاحتجاج إلى الأمير فيصل بن الشريف حسين، والدول الغربية ذات الصلة بالتصريح، وعقدوا العديد من الاجتماعات كانت تنطوي على المطالبة بالحفاظ على وحدة بلاد الشام(٣٠).

أما الموارنة فقد رحب قادتهم بالتصريح، واعتبروه بداية جيدة لإقامة توزان إقليمي ضد الأغلبية المسلمة، وقابلوا الجهود الصهيونية الرامية إلى زيادة السكان اليهود مقابل العرب بالترحيب، وإثر ذلك بدأت الاتصالات بين الموارنة والصهاينة، ففي عام ١٩٢٠ قام يوشوا هانكين Yehoshua Hankin أحد وكلاء شراء الأراضي لدي الحركة الصهيونية بتوقيع اتفاقية صداقة مع هيئة من موارنة لبنان، وكان هدف الموارنة من ذلك تنسيق الموارد الاقتصادية والسياسية في مواجهة العدو الإسلامي المشترك(٣١).

وخلاصة القول إن معارضة بلاد الشام كانت في معظمها معارضة لتصريح بلفور، واستمرت منذ عام ١٩١٧، وحتي قدوم بلفور إلى المنطقة في مارس ١٩٢٥م، ونتيجة لارتباط بلفور بالتصريح وتأييده للحركة الصهيونية، أثر ذلك على ردود الفعل على زيارته لفلسطين وسوريا، كما سيأتي.

بلفور في فلسطين:

لما كان بلفور يعد أبرز الساسة الذين تبنوا المشروع الصهيوني بإقامة وطن لليهود في فلسطين، رأت الحركة الصهيونية ضرورة تكريمه وذلك بدعوته لافتتاح الجامعة العبرية(٣٢)، حيث كان يعد من أكثر الساسة تأييدا لإنشاء هذه الجامعة، فيذكر انه في مايو ١٩١٨م عندما كان يعمل وزيراً للخارجية وافق على مقترح وايزمان بشراء أرض في فلسطين، وإقامة جامعة عبرية عليها(٣٣).

لما أنشأت الجامعة العبرية واستقرت الآراء حول افتتاحها في أول إبريل١٩٢٥م وجهت الدعوة إلى بلفور بوصفه مستشارا لجامعة كامبريدج ووافق عليها دون علم كلايتون Clayton –رئيس المخابرات البريطانية – ورونالد ستورس Ronald Storrs – حاكم القدس وكان ذلك من غير المقبول أمنيا لزيارة رجل لا يحظى بأية قبول بين اغلبيه عربية لا تريد رؤيته دون علمهما [٣٤].

على أية حال ناقش اليهود الممثلون في السلطة التنفيذية بفلسطين في الرابع من فبراير ١٩٢٥، مسألة وصول بلفور إليها، في الوقت ذاته رأى البعض منها أن الترحيب الحار بسياسي بريطاني سيؤدي إلى إثارة غضب لا مبرر له"، خصوصًا أنه كان يتوافق في وقت تم فيه نقل مساحات شاسعة من أراضي العرب إلى اليهود [٣٥] .

في الوقت عينه احتج العرب الممثلون في السلطة التنفيذية في فلسطين ، التي لم تتم استشارتها، على الافتتاح الوشيك للجامعة العبرية من خلال الدعوة إلى إضراب عام وإغلاق المدارس، ومنع الوصول إلى جميع الأماكن المقدسة أثناء الافتتاح، وطالبت من الصحف إصدار مجلد بالحداد يوم وصوله، وأن تنشر عددا بالإنجليزية حول تصريح بلفور[٣٦]، وأرسلت هذا الاحتجاج إلى بلفور في الوقت ذاته أرسلت الجمعيات الإسلامية والمسيحية برقيات الاحتجاج على الزيارة المنشودة إلى عصبة الأمم ولكن لم تنظر من خلال العصبة إذ أن قوانينها اشترطت ألا تقدم مثل هذه الاحتجاجات إلا من خلال الدولة المنتدبة " بريطانيا" [٣٧].

احتوت تلك الاحتجاجات على أن تصريح بلفور تسبب في ضياع فلسطين، وبناءً على اقتراح الفروع المحلية للجمعيات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، أصدرت السلطة التنفيذية العربية البيان التالي :السكان الذين هم ضحايا السياسة المذكورة سوف يمتنعون عن استقبال بلفور، وفي يوم وصوله ستعقد اجتماعات في دور العبادة للاحتجاج والصلاة، و سيمتنع ممثلو الهيئات العربية، المعترف بها أو غير المعترف بها، والهيئات الوطنية والأعيان عن لقائه علانية أو خاصة، والسلطات المسؤولة عن الأماكن المقدسة والمؤسسات الوطنية ستمنع الإذن له

بالوصول إليها، وستصدر الصحف العربية بحدود سوداء وتعليقات مختصرة باللغة الإنجليزية على تصريح بلفور. وستنضم السلطات السياسية في الدول العربية إلى الاحتجاجات والصلوات المذكورة، وسيتم إخطار الحكومة الفلسطينية بأنها ستكون مسؤولة عن العواقب الناتجة عن المظاهرات اليهودية، العامة أو الخاصة، المصرح بها أو غير المصرح بها" (٣٨)

كما قرر طلاب كلية تدريب المعلمين الحكومية، مع بعض المعارضين لبلفور، وكذا المجموعة الأرثوذكسية، بقيادة بطريرك القدس، بأنها سترفض مقابلة اللورد بلفور، وستحاول منعه من الوصول للأماكن المقدسة المسيحية(٣٩).

ونظرا لحركة الاحتجاج التي عمت ربوع فلسطين من مختلف الطوائف التي بمقتضاها رأت السلطات البريطانية في فلسطين ضرورة تأمين بلفور فقامت باستدعاء المبعوثين من الجيش البريطاني من مصر الذين أتو إليها من فلسطين إثر مقتل السير لي ستاك Lee Stack سردار الجيش المصري في السودان عام ١٩٢٤م، وكان ذلك بناء على طلب من الحركة التنفيذية الصهيونية(٤٠).

في الرابع عشر من مارس غادر بلفور إنجلترا، مسافرًا بالقطار إلى نابولي في إيطاليا ومنها وصل أولاً للإسكندرية- حيث التقى بالجنرال اللنبي والمسؤولين البريطانيين(٤١), وأثناء تواجده في مصر قوبل بالعديد من المظاهرات التي رفضت زيارته من قبل الوطنيين الفلسطينيين المقيمين في مصر(٤٢) الذين تم اعتقالهم من قبل إسماعيل صدقي وزير الداخلية المصري(٤٣).

ويذكر أن الفلسطينيين والسوريين وغيرهم من العرب المقيمين بمصر قد قاموا بالعديد من المظاهرات بمشاركة بعض فئات الشعب المصري ضد قيام حكومة احمد زيور نتيجة إيفاد أحمد لطفي السيد ممثلا للحكومة المصرية في احتفالات افتتاح الجامعة العبرية (٤٤) سنة ١٩٢٥(٤٥)

لم تقتصر الدعوة لحضور احتفالات الجامعة العبرية على الحكومة المصرية فحسب بل وجهت دعوة مماثلة إلى الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقا وكذلك الدكتور احمد زكي باشا الأستاذ بالجامعة المصرية واللذين أهملاها ولم يردا عليها، و لإقناع مفتي الديار ذهب إليه بعض من يهود مصر

ورجوه باسم العلم أن يحضر هذا الافتتاح ، فاعتذر بكبر السن ومشقة السفر وألحوا عليه وعرضوا عليه تسهيلات كبيرة في السفر ، فلما ضاق بهم ذرعا أوضح لهم بانه لا يستطيع أن يحضر احتفالا يسيء إلى أهل فلسطين الذين هم في حالة حداد بسبب هذه الجامعة (٤٦).

وصل بلفور إلى فلسطين عن طريق السكك الحديدية البريطانية عبر شمال سيناء , وفي السادس والعشرين من مارس وصل إلى تل أبيب (٤٧) ، واختير جورج أنطونيوسAntonius George –مساعد مدير التعليم في فلسطين– لمرافقة بلفور في هذه الرحلة ، والذي وصف بأنه دأب على تقديم النصح لبلفور أثناء وجود الأخير في فلسطين وسوريا (٤٨) ، وعندما حاول أنطونيوس كمواطن عربي مسيحي أن يشرح له أن المعارضة في فلسطين تزداد ضد الصهيونية ، استمع باهتمام شديد ثم أجاب : "أنه مهما كانت العواقب المتوقع حدوثها من جراء هذه الزيارة فان "التجربة" – إقامة وطن لليهود في فلسطين – كانت "مثيرة للاهتمام بشكل غير عادي"(٤٩) .

أثناء وجوده في فلسطين في الفترة بين السادس والعشرين من مارس حتى السابع من الشهر التالي شارك في افتتاح عدد من المشاريع، في مختلف ربوع فلسطين (حيفا وعكا وطبريا والقدس)(٥٠) وكان على رأسها افتتاح الجامعة العبرية في الأول من أبريل ١٩٢٥(٥١).

ويؤكد ذلك أن دعوة بلفور لفلسطين لم تكن بهدف افتتاح الجامعة العربية فقط وإنما جاءت دعوته في إطار افتتاحه لعدد من المشروعات وكانه يمثل احد المسئولين في الحكومة الفلسطينية أو بالأحرى المسئولين الرسمين اليهود هناك أو زعيم صهيوني كبير.

كان إعلان الافتتاح لتلك الجامعة التي أقيمت على تل جبل الزيتون، المطل على القدس ظهر فيه بلفور بشكل مثير للإعجاب من قبل اليهود (٥٢)، حيث القى خطبة أثنى فيها على اليهود والمنظمة الصهيونية وجهودهما في إنشاء وطن قومي لليهود(٥٣) .

ويذكر أن المسئولين اليهود قد وجهوا الدعوة لحضور افتتاح الجامعة العبرية إلى عدد من عرب فلسطين، لكن بضعة أشخاص لبوا الدعوة، على رأسهم رئيس بلدية القدس (راغب النشاشيبي) وعضو محكمة الاستئناف الشرعية (على جار الله) وقد قوبل اشتراكهم في افتتاح الجامعة بالرفض من قبل العرب لاستخفافهم بمشاعر الفلسطينيين(٥٤) .

لقد كانت مشاركة كلا من النشاشيبى وعلى جار الله في عملية افتتاح الجامعة العبرية إلى انهما ينتميان إلى عائلتين وثقتا مصالحهما بالسلطات البريطانية والصهيونية في فلسطين فكانتا اكثر مهادنة للسلطات البريطانية منذ قدوم البريطانيون اليها، بالإضافة إلى انهما يشغلان مناصب رفيعة في فلسطين ، في حين لم توجه الدعوة إلى بعض العائلات الأخرى التي ساءت علاقاتها بالسلطات البريطانية مثل عائلة الحسيني والتي تميزت بأنها كانت أقل مهادنة للسلطات البريطانية(٥٥).

استقبل مواطنو تل أبيب والمستعمرون اليهود بلفور بحماسة أبهرته في حين استقبله العرب الفلسطينيون بحداد عام(٥٦).

وخلال هذه الزيارة لم يواجه بلفور بأي مظاهرة في فلسطين؛ حيث قامت الإدارة البريطانية باعتقال العناصر الثائرة من العرب وستة عشر من الشيوعيين اليهود، وذلك عشية وصول بلفور إلى القدس؛ ومن ثم فلم يستشعر بلفور السخط الشعبي ضد زيارته(٥٧).

كان ذلك نتيجة قرار الأحزاب العربية في فلسطين إعلان الإضراب العام فور قدوم بلفور والاعتكاف في المساجد وإغلاق المحلات التجارية، ومنع دخول اللورد إلى الحرم وجميع المعابد الوطنية كذلك قرر جميع المحامين العرب في القدس وسائر مدن فلسطين الامتناع عن الحضور للجلسات، وابلغوا ذلك إلى قاضي القضاة لإبلاغه إلى جميع فروع المحاكم الفلسطينية، وتم منع جميع الطلبة الفلسطينيين من دخول المدارس(٥٨)، كما أعلن أصحاب السيارات الأجرة الإضراب(٥٩)

على الرغم من الإضراب العام، وحالة الصمت العربي التي شهدتها فلسطين إبان الزيارة، وتعطيل الأنشطة الاقتصادية، إلا أن القدس شهدت بعض المظاهرات المتفرقة الرافضة لوجود بلفور في فلسطين [٦٠].

على ما يبدو أن حدوث مظاهرات في القدس ضد بلفور قد تمت تحت أعين رونالد ستورس –حاكم القدس – إذ أن السلطة التنفيذية لم تخبره بهذا الأمر ومن ثم وجه اعتراضه على ذلك بالسماح لبعض التظاهرات في القدس ويؤكد ذلك عدم وجود أي من أنواع التظاهرات في بقية أرجاء فلسطين.

ونتيجة لحالة الإضراب العام وانتشار الأعلام السوداء التي تعبر عن رفض وجود بلفور في فلسطين لجأت الحركة الصهيونية إلى إبطال تلك الأعلام عبر رفع العديد من الإعلام اليونانية الزاهية والتي تم رفعها تكريما للعيد الوطني اليوناني في المدينة [٦١] .

وتذكر بيرثا فيستر Berth Fister ، زعيمة المستعمرة الأمريكية في القدس، أن بلفور "لم يلحظ المساكن العربية وأماكن العمل المكسوة بالسواد مع رفع الأعلام السوداء. لأنه كان محاطًا بالصهاينة الذين لم يتركوه يلاحظ ما حوله [٦٢].

وبناء على الرفض العربي وعلى رأسهم المفتي لزيارة بلفور للأماكن المقدسة ولا سيما المسجد الأقصى، نصحته الشرطة بأن الوضع بالغ السوء، فوافق ألا يزور المسجد الأقصى[٦٣]، كما رفض المسيحيون دخوله الأماكن المقدسة المسيحية طبقاً لرغبة السكان العرب[٦٤] .

ويصور رونالد ستورس في مذكراته حالة الغضب المسيحي تجاه بلفور فيقول : " دخول كنيسة القبر المقدس حق لا يجب أن يحرم منه اللورد بلفور لذلك قررت قبول المخاطرة ، وأسرعنا عبر الشوارع الضيقة المنحدرة التي كانت تغرق في الصمت، فلا تسمع إلا أصوات المزاليج ، وعندما رفعت يدي بالتحية للأفراد القلائل الذين قابلناهم وردوا تحيتي، تمنيت أن يظن بلفور أنه المقصود بالتحية، وقد علمت بعد ذلك أنه فهمها على هذا النحو، وقرب باب الكنيسة كان الزحام شديدا حتى

فكرنا في أن نجد مخرجا عبر دير الأقباط وعندما أدرك الحشد ذلك هرعوا إلى هناك انتظارا لنا، وبذلك أصبحت الطرق خالية فعدنا أدراجنا سالمين(٦٥) .

ولما جمع وحدة الموقف بين المسلمين والمسيحيين العرب في فلسطين في إطار الحركة الوطنية الفلسطينية، وُيذكر أنه في صلاة الجمعة في قبة الصخرة كان من بين المتحدثين حول زيارة بلفور اثنان من المسيحيين دفاعًا عن العرب، وكان من غير المسبوق أن يدخل المسيحيون إلى هذا المسجد في مثل هذه المناسبة(٦٦).

وقبيل مغادرة اللورد بلفور لمدينة القدس دعا الصحفيين الفلسطينيين والأجانب إلى عقد مؤتمر صحفي ليتحدث فيه عن زيارته، فلم يذهب أحد من الصحفيين العرب، بل حضره الصحفيون الأجانب الصهيونيون(٦٧).

في ذلك اليوم ألقى البعض خُطبا من فوق منصة الأقصى دعوا فيه اللورد بلفور إلى مغادرة البلاد التي دخلها خلافا لرغبات أهلها. وأبلغوا المندوب السامي بذلك(٦٨) وقد وصفت صحيفة البلاغ مظاهر الاحتجاج والرفض لدى الشعب الفلسطيني والتي قوبل بها بلفور أثناء الزيارة فقالت: " لقد شاهد بلفور في شوارع القدس في أول يوم من شهر رمضان شوارع شاغرة ، حيث أوصد العرب في فلسطين جميع منازلهم وحوانيتهم ونوافذ منازلهم ورفعوا الأعلام منكسة ووضعوا إشارات الحداد في كثير من الأماكن احتجاجا على زيارة اللورد بلفور. ولئن خشي العرب شيئا فهم لا يخشون ذلك البناء المقام على جبل الزيتون ولا يفزعون من الجامعة نفسها بل هم يخشون كثرة النازحين إلى فلسطين من اليهود بعد أن ساعدهم تصريح بلفور على ذلك" (٦٩) , وكتب رونالد ستور أن ما تم كان غير لائق بالنسبة لبلفور وقد أظهر ثقة وعجرفة الصهاينة ومدى قلة فهم لندن للوضع على الأرض في فلسطين وعمق نفور الفلسطينيين من مشروع بريطانيا لإزالتهم من وطنهم , وتم توفير الأمن لبلفور عن طريق الحامية (٧٠) وعلق البعض على مقابلة الفلسطينيين لبلفور أنه لولا تصريح بلفور لقوبل بمثل ما قوبل به غيره من الزعماء الإنجليز من الحفاوة والإجلال مثل المستر سكويت scuitt ولورد نورت كليف Cliff Nortt والسير الفريد موند Alfred Monde والآخرين من أنصار الجامعة الصهيونية،

فالمقاطعة ضد التصريح الذي أصدره اللورد بلفور[٧١] ، ويضيف الباحث أن استمرار بلفور لدعم الحركة الصهيونية لم يكن بالتصريح الذي منح اليهود وطن لهم في نوفمبر ١٩١٧ فقط، وإنما بسبب استمراره في دعمه للحركة الصهيونية من ١٩٠٥ وحتى ١٩٢٥، في الوقت ذاته كان يظهر عدائه للعرب الفلسطينيين على سبيل المثال :عندما زار الوفد الفلسطيني لندن ١٩٢١م طلب مقابلته فرفض، و كان اللورد بلفور يجاهر بعدائه للشعب العربي مما زاد من كراهيتهم له[٧٢].

أضف إلى ذلك إن الزيارة تزامنت مع زيادة أعداد اليهود في فلسطين فبلغ عددهم ١٣٠ ألف عام ١٩٢٤م بعد أن كانت ٨٠ الف في عام ١٩٢١م معظمهم من يهود أوروبا الشرقية [٧٣] ، علاوة على ذلك انه عندما فرضت عصبة الأمم الانتداب البريطاني على فلسطين أثناء شهر يوليو ١٩٢٢م، دافع عنه اللورد بلفور وحث حكومته في مجلس اللوردات البريطاني على قبول الانتداب على فلسطين،[٧٤]. إضافة إلى أن العرب قد نظروا لإنشاء الجامعة العبرية ومساعدته في ذلك وحضوره حفل الافتتاح على أنه تعميق لوجود الفكرة اليهودية وتصريح بلفور حيث أنها وضعت في أولى مهامها تدريس ونشر اللغة العبرية [٧٥].

على الرغم مما سبق أشادت الصحف البريطانية بمهمة بلفور في فلسطين وأنها لقيت قبولا حسنا، في الوقت نفسه تم الإشادة بالقيادة العربية لإظهارها قدرًا من ضبط النفس الذي لم يكن متوقعًا في القاهرة أو فلسطين[٧٦]، وذكر بلفور ذاته أن حكومة فلسطين لم تحتاج إلى إجراءات أمنية مشددة لمنع التظاهرات العربية ضد زيارته، لأن العرب واليهود على أهبة السلام والوئام[٧٧].

وعلى ما يبدو أن عزوف العرب عن إقامة مظاهرات قوية ضد زيارة بلفور راجع إلى خوفهم من اليد الحديدية للحكومة البريطانية[٧٨]، كذلك قيام السلطات البريطانية في فلسطين بتمشيط فلسطين من كل المعارضين لبلفور من عرب ويهود وخاصة الشيوعين منهم بالإضافة إلى رغبة الفلسطينيين على ألا يخسروا بريطانيا في صراعهم الحتمي والقادم مع اليهود والحركة الصهيونية حيث أن

أعمال الحركة الصهيونية مثل افتتاح الجامعة العبرية حصلت على مباركة وتأييد عدد من الدول الأوروبية المختلفة اللذين أرسلوا وفود لحضور الافتتاح [٧٩]

بلفور في سوريا:

منذ تاريخ وصول اللورد بلفور إلى المنطقة العربية، استمر التحريض ضده دون هوادة في الصحافة السورية التي شنت حمله من الانتقادات المستمرة على تصريحه وعلى الإمبريالية الأنجلو فرنسية في المنطقة [٨٠] على الرغم من نشر قلم المطبوعات الفرنسي في بيروت الذي طلب من الصحافة أن تمتنع عن كل انتقاد موجه لضيف من رعايا دولة صديقة وحليفة لفرنسا[٨١].

جاءت المعارضة لزيارة بلفور من قبل المجلس التمثيلي السوري فتم توزيع شرائط الحداد والمنشورات التي تدعو الناس إلى إظهار تعاطفهم مع إخوانهم الفلسطينيين وكراهيتهم للصهيونية.

لقد أرسل السوريون بمختلف طوائفهم الدينية والعرقية، عدة احتجاجات على تصريح بلفور، وقد وقع على هذه الاحتجاجات العديد من الشخصيات البارزة والطلاب، وأرسلوها إلى عصبة الأمم وإلى مجلسي العموم واللوردات البريطانيين، كما وافق مجلس الممثلين في سوريا على إرسال احتجاجا مماثلا إلى عصبة الأمم من خلال المفوض السامي الفرنسي في دمشق وبيروت [٨٢].

لم يقتصر حجم الاعتراض على السوريين داخلها فقط، وإنما امتد ليشمل السورين خارجها برفض زيارة بلفور إلى المنطقة، حيث خرج عدد كبير من أبناء الجالية السورية المقيمة في مصر للتظاهر ضد الزيارة، وكتبوا العديد من البرقيات التي انهالت على جريدة «الأهرام»- شاجبه زيارة اللورد بلفور لمصر، ومنددة بوعده المشؤوم، وكانت إحدى تلك البرقيات التي نشرتها «الأهرام» بتوقيع عشرين مواطناً سورياً مقيمين في مصر، كان من بينهم شكري القوتلي (١٨٩١م-١٩٦٧م) رئيس الجمهورية السورية فيما بعد[٨٣].

وتجاوبا مع حالة الرفض العام في سوريا لزيارة بلفور إلى المنطقة رفض المجمع العلمي العربي في سوريا الاشتراك في افتتاح الجامعة العبرية، وشجب اشتراك مندوب الجامعة المصرية – أحمد لطفي السيد– في الافتتاح، واعتبره أمرًا مرفوضاً في جميع البلاد العربية(٨٤).

وعلى ما يبدو أن بلفور لم يكن يعلم بحجم الاعتراضات الرافضة لزيارته للمنطقة، وذلك وفقًا لبعض المصادر فإن سكرتيرته الخاصة اختارت ألا تزعجه بمئات برقيات الاحتجاج التي وصلت من سوريا وباقي الدول العربية إلى مقر الحكومة في لندن قبل توجهه للمنطقة العربية(٨٥).

تم ترتيب الزيارة لدمشق بين مكتبي المفوضين الساميين، هربرت صموئيل Herbert Samuel والجنرال سارايل Sarraill كان مخطط الزيارة يتجاهلون الحملة الصحفية الجارية ضد بلفور والاستيطان الاستعماري ولم يطلبوا نصيحة الضباط السياسيين الاستعماريين(٨٦).

انطلق قطار بلفور من حيفا إلى دمشق في صباح الثامن من إبريل ١٩٢٥م يرافقه عدد كبير من عناصر الاستخبارات البريطانية وعدد من الصحفيين من مختلف الجنسيات(٨٧).

منذ أن عبر القطار الذي كان يقل بلفور الحدود السورية قوبل من أهل القرى التي يمر عليها بلافتات الاحتجاج، وبالشارات السوداء الفاحمة، وبالهتاف بعروبة فلسطين. الأمر الذي دفع حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين إلى إجراء اتصالات عاجلة مع سلطات الانتداب الفرنسي في سورية لوضع خطة مشتركة لحماية بلفور أثناء زيارته لدمشق(٨٨).

وعليه أرسلت الحكومة السورية عددا من رجال الشرطة السريين، إلى محطة الحمى على الحدود السورية الفلسطينية، إلى جانب اثنى عشر من قوات الدرك، لحماية بلفور، ورغم هذه الاحتياطات انهالت الحجارة على عربة بلفور بالقرب من محطة درعا فتكسرت نوافذها(٨٩).

وعلى ما يبدو أنه كان هناك استنفار للسوريين لمواجهة زيارة بلفور إلى دمشق، حيث أعلنت جريدة ألف باء السورية قبيل الزيارة أن الجماهير التي ستحشد في محطة الحجاز بدمشق ستنادي بسقوط تصريح بلفور وستحيي فلسطين(٩٠)، وعندما وصل القطار إلى درعا(٩١). استشعرت السلطات الفرنسية في سوريا حالة الغليان التي كانت تسري في دمشق بسبب هذه الزيارة، فقررت إنزال اللورد في محطة القطار في القَدَم، وليس في محطة المدينة محطة الحجاز، حذراً مما قد يحدث في محطة الحجاز(٩٢),وقد أعدوا عربة مركبة خاصة تقل اللورد بلفور والماجر لاسل Lassel بمعاونة القنصل البريطاني في دمشق ومستشار الشرطة ووكيل مديريها ورئيس قسم التحري فيها فنزل اللورد ومن معه ثم ركب سيارة القنصلية وتبعتها سيارة الشرطة تحمل المستشار والوكيل إلى فندق فيكتوريا حيث نزل بلفور.

أما الجماهير فظلت تتجمع في محطة الحجاز، كان أغلبهم من طلاب كليات الحقوق والطب على الرغم من اعتقاد بعضهم بأن اللورد سينزل في محطة القدم وقد غر الجماهير وجود أفراد الشرطة ومفتشيها وقدوم المسيو بيجان Bijan ومعاون مندوب المفوض السامي واحد موظفي القنصلية البريطانية في دمشق وذلك لإيهام السوريين بأن اللورد سينزل في محطة الحجاز (٩٣).

استمرت المظاهرات بضع ساعات عندما اكتشفوا ما حدث من تهريب السلطات الفرنسية لبلفور إلى فندق فيكتوريا وانتشروا في بضعة أماكن في دمشق ومنها سوق الحميدية، حيث تألفت في السوق تظاهرة كبرى من جموع الشعب السوري الذين انبثوا في الشوارع والأزقة والميادين والساحات حتى غصت بهم، ثم اتجهت هذه الجموع والتظاهرات نحو ساحة المرجة، مما أدى إلى تدخل رجال الشرطة في الأمر، ومنعوا المتظاهرين من عبور جسر نهر بردى للوصول إلى الفندق ، فاشتد هياج الشعب وهتافه، وحدث صدام بين الأهالي والشرطة، وشرع البوليس يقبض على كل من وقع بين يديه من الجمهور إلى دائرة الشرطة(٩٤).

علق القنصل البريطاني في دمشق على ذلك بقوله " كان من السهل على الشرطة في سوريا الاحتفاظ بهذا الجسر وبالتالي منعهم من الوصول إلى موقع الفندق وأضاف بأن الشرطة كانت تتسم بالسلبية المطلقة تجاه ما يحدث[٩٥].

على ما يبدو أن السلبية التي اتسمت بها السلطات الفرنسية تجاه منع السوريين من عبور جسر بردى كانت مقصودة لإحراج بلفور وبريطانيا وكان ذلك ردا على سياسة التأييد البريطاني تجاه ثورة الدروز " كما سيأتي" وكذا منح السورين قسط من الحرية للتعبير على رأيهم في بلفور والسياسة البريطانية، وفى هذا الصدد ذكرت صحيفة التايمز نقلا عن الجنرال ساراي إنه اعتبر أن التظاهرة ربما تكون منفذاً صحياً للشعور الشعبي[٩٦].

انصرف المتظاهرون نتيجة دعاوى البعض بعمل إضراب في اليوم التالي لزيارة بلفور لدمشق، و إغلاق المحلات والبازارات، وتم الاتفاق على التجمع في المسجد الأموي لمنع بلفور من دخوله والذي كان مخططا أن يزوره، ووصل عددهم إلى ١٠٠٠٠ متظاهر بينهم مئات من طلاب المدارس الثانوية [٩٧].

ولما أراد بلفور الخروج من الفندق بقصد التجول في شوارع مدينة دمشق وأسواقها، رجاه رجال الشرطة تأجيل تجواله إلى اليوم التالي، فعاد إلى غرفته»[٩٨]، وعلق بلفور على أحداث زيارته في اليوم الأول إلى دمشق قائلا: " إنه ليس لديه أي فكرة عن مشاكل محتملة ولم يكن ليأتي إلى دمشق لو تم تحذيره"[٩٩]

وفي اليوم التالي بناء على دعاوى إغلاق المسجد الأموي وإغلاق البازارات وإضراب طلاب المدارس المختلفة تجمع حشد كبير، من بينهم طلاب المدرسة اليونانية الأرثوذكسية، في المسجد الأموي، بقصد إغلاق الأبواب، عند الزيارة المرتقبة لبلفور، في نهاية المطاف، عندما وجد أنه لم يأت، غادر الحشد المسجد وتوجه نحو الفندق للتظاهر.

بدأ رجال الدرك في سوريا، الذين تم أرسالهم لمنع الاقتراب من الفندق، بعد أن حاولوا عبثًا التحقق من الاندفاع بالطرق العادية، إطلاق النار على رؤوس المتظاهرين، الذين كانوا ينغمسون بالفعل في إلقاء الحجارة وغيرها من الأعمال

العنف الجسدي، واستمر إطلاق النار في الهواء لفترة وجيزة[١٠٠] وبعد سويعات قليلة وصلت ثماني سيارات مدرعة لإعادة النظام إلى نصابه. وقد أحصت وكالات الأنباء عدد الخسائر في صفوف الجانبين، المتظاهرين والبوليس، فتبين أن عدد الجرحى من المتظاهرين خمسون جريحا، نقلوا إلى المستشفى، كان من بينهم ثلاثة جروحهم خطيرة، وأن عدد الجرحى من رجال الشرطة اثنان، وأصيب كثيرون منهم بكدمات وكسور جراء الضربات التي انهالت عليهم من المتظاهرين [١٠١]، وأضافت بعض المصادر إلى انه قد قتل شخص في تلك المظاهرات على الرغم من أن الفرنسيين، كانوا حريصين على الحد من التطورات التي تجاوزت حساباتهم[١٠٢].

ونتيجة لذلك تم احتلال البلدة عسكريا؛ ثم تم إرسال سيارات مصفحة لحماية الحي اليهودي في دمشق وكان هناك بعض التخوف من أن المسلمين سيهاجمون هذا الحى وأرسلت القوات كإجراء احترازي لحراسة الأحياء اليهودية. [١٠٣].

علقت النيويورك تايمز NEW YORK TIMES على تلك الأحداث على أنها شيطنة صاخبة كادت أن تعصف بحياة بلفور، ولم تكن الشرطة قادرة على التصدي لها، وأن تدخل القوات العسكرية فقط هو الذي أنقذ الموقف [١٠٤].

وفي اليوم الثالث من زيارة بلفور لسوريا ونظرا لاشتداد حركة التظاهر ضد بلفور ولتفريق المتظاهرين حلقت الطائرات الفرنسية فوق دمشق على ارتفاعات منخفضه وأسقطت قنابل دخانية، وجلبت أعداد من السيارات المصفحة والدبابات التي انتشرت في الشوارع لحماية بلفور بالعشرات. وفضلا عن المئات من المشاة والفرسان الفرنسيين والجزائريين المسلحين بالسيوف، مما يفسر أن العدد الأكبر من الضحايا السوريين الذين أصيبوا بجراح في ذلك اليوم، كان نتيجة إعمال السيوف بهم، أما جراح الشرطة، فقد كانت كلها نتيجة لرشقهم بالحجارة [١٠٥].

أدى ذلك إلى إلغاء اجتماع الذي كان قد حدد سلفا بين بلفور والمفوض السامي الفرنسي في سوريا الجنرال ساراي الذي أكد أن لديه أنباء عن وجود مظاهرات أخرى يعد لها تسعى لتعقب بلفور[١٠٦].

نتيجة لحركة المعارضة الشديدة التي قام بها السوريون لم يستطع بلفور طوال إقامته في سوريا الخروج من فندق فيكتوريا الذي كان يرى بأم عينيه أعمال التظاهر التي عبر فيها السوريون عن رفض وجوده في بلادهم مما أدى ذلك إلى احتلال السلطات الفرنسية ساحة المرجة.

أدى السخط والاستياء العربي إلى زيادة المخاوف الفرنسية على سلامة بلفور, حيث تم نشر حراس مسلحين على الطريق المؤدي إلى دمشق، وحدثت اضطرابات خارج فندقه لكن الشرطة والسيارات المدرعة وقنابل الدخان الجوي تدخلت، حيث كانت حياة بلفور في خطر(١٠٧)

وعلى اثر ذلك عُقِدَ اجتماع مطول بين الجنرال سراي وبلفور في حضور القنصل البريطاني في دمشق وقد طلب من بلفور في هذا الاجتماع، مغادرة دمشق على الفور(١٠٨). ورأى ساراي أنه من المستحسن أن يغادر بلفور إلى بيروت مرة واحدة. والعزوف عن زيارة بعلبك، التي وصفت بأنها عش التعصب الشيعي ولا توجد فيها حامية فرنسية لحامية بلفور إذا نزل بها(١٠٩).

كان على سلطات الانتداب الفرنسي في سوريا والقنصل البريطاني هناك وضع خطة يستطيعوا من خلالها تهريب بلفور من فندق فيكتوريا بعيدا عن أعين المتظاهرين، فوضع المفوض سيارته على جسر بردى، فأوجد بذلك مظهراً لفت الأنظار وشغَلَ الناس، وفي الوقت نفسه حلقت طائرات في المكان ذاته، مما أدى إلى انشغال الناس بها وإثر ذلك غادر اللورد بلفور فندق فيكتوريا من دون أن ينتبه أحد إلى خروجه تحت حراسة سيارات فيها ١٢ شرطياً سرياً، و٤٥ من جنود الدرك، في الوقت الذي نبهت الحكومة السورية جميع مخافر دمشق، بأن تجمع مشايخ الحارات لإبلاغ جميع الأحياء الدمشقية بأن بلفور قد برح مدينتهم، ولن يعود إليها مرة أخرى»(١١٠).

وعلقت صحيفة اللطائف المصورة بقولها: " إن تهريب بلفور من دمشق خدعة حربية لطيفة ابتكرها الجنرال ساراي ذلك أن الجنرال لما شاهد الدمشقيين هائجين مائجين يحاولون اختراق نطاق البوليس حول الفندق الذي نزل فيه اللورد

خشي وقوع ما لا تحمد عقباه، فقصد الفندق ومكث في داخله بضع دقائق ثم خرج ووقف بسيارته على الجسر المقابل للفندق فتحولت إليه أنظار الناس المتظاهرين وازداد هذا التحول بمجيء طيارات طارت فوق المكان وفي تلك الآونة غادر اللورد الفندق خلسة من غير أن يشعر به أحد وركب هو والماجور– لاسال– سيارة أقلتهما بسرعة إلى خارج المدينة ورافقهم البوليس وهكذا خرج من دمشق بتلك الخدعة التي وفرت على دولتين تعبا كبيرا"[١١١]. وعليه غادر بلفور دمشق إلى بيروت.

والجدير بالإشارة أن بلفور لم يقم في بيروت بل أقام يومين على ظهر الباخرة بميناء بيروت انتظارا لموعد إقلاعها تحيط به حراسة مشدده نظرا لأن الجماهير اللبنانية كانت على الشاطئ تتطلع للنيل منه[١١٢] ، ويذكر أنه كان مقررا أن يزور بلفور بيروت مما جعل الجمعيات الإسلامية تدعوا إلى إغلاق المحلات ، كما دُعي المسيحيين للمشاركة فيها، ولكنهم عزفوا عن ذلك، وفى هذا الصدد أشارت جريدة التايمز أن العديد من المحلات أغلقت ولكن بعض اللبنانيين ابقوا محلاتهم مفتوحة، ولم يهتموا بتلك الدعوى [١١٣] ، وعلى الرغم من ذلك قام بعض الشباب ومعظمهم من الطلاب بمظاهرة على جسر بيروت، نددوا بتصريح بلفور من خلال مكبرات الصوت[١١٤] .

وعلق محمد كرد على ما قابله بلفور في دمشق وبيروت بقوله:" نقلت الحكومة اللورد بلفور إلى بيروت، فأركب البر، والبيروتيون يحتجون عليه كاحتجاج الدمشقيين ولم يستطع أن يرى من دمشق غير جدران الفندق، ومن بيروت إلا الطريق إلى السفينة فقط "[١١٥]

وقد علقت صحيفة الحساب لسان حال الحزب الشيوعي المصري على زيارة بلفور لسوريا بقولها: " لم يكفه ما فعلته زيارته لأهالي فلسطين وأي تذكار مؤلم تركه في انفسهم، وقد استعرضت الصحيفة وقائع المطاردة العنيفة التي قامت بها الجماهير السورية واللبنانية في كل من دمشق وبيروت ضد اللورد بلفور مما اضطره إلى الفرار من المدينتين المذكورتين طلبا للنجاة"[١١٦].

وقد نجح أحد الباحثين في تحليل بلفور عندما زار فلسطين وسوريا فذكر" انه لم يأتمن أحدا. وكان ساخرًا تمامًا، لكن هذا لا يتفق مع القليل المعروف على وجه اليقين عن شخصيته. والأرجح أنه وقع في العشرين سنة الأخيرة من حياته في حب فكرة، وأنه مع عناد الشيخوخة استطاع أن يغلق عقله، بشكل هائل ومشرق، عن أي شيء يتعارض مع فكرة" (١١٧).

ويرى الباحث إن اللورد بلفور كان منزعجًا من الاضطرابات التي أثارها حضوره، لم يفهم لماذا يجب أن تكون سوريا مهتمة للغاية بإعلانه التاريخي، وبدا أنه لم يدرك أنه من سفح جبل طوروس إلى حافة صحراء سيناء هي دولة واحدة جسديًا وعرقيًا وعاطفيًا واقتصاديًا، على الرغم من أنها قسمت بسبب مقتضيات السياسة العالمية.

وأعطى البعض تفسيرا لما حدث في دمشق إلى أن التواصل بين الفلسطينيين والسورين كان سريعًا للغاية، على الرغم من الحدود الدولية، بقي شعبا واحدا في المشاعر وكذلك في الدين. ونتيجة لذلك، ألقى باللائمة على عدم التعاون بين المسؤولين البريطانيين في فلسطين ونظرائهم الفرنسيين في سوريا.(١١٨).

يمكن إعادة ما حدث في سوريا ولبنان ضد زيارة بلفور إلى عاملين:

الأول: يتعلق بالسوريين أنفسهم، فتأثير الجمعيات السياسية السرية في سوريا التي اتفقت فيما بينها بالقيام بثورة ضد زيارة بلفور لسوريا تديرها جمعية أو جمعيات تعمل في الخفاء(١١٩).

وكذا الأحزاب القومية في سوريا مثل حزب الشعب الذي أعلن عن تأسيسه في فبراير ١٩٢٥ والذي كان مقره في محطة الحجاز وقد نجح في حشد ألاف المتظاهرين في دمشق بقيادة عبد الرحمن الشهبندر لمعارضة وجود بلفور في سوريا (١٢٠).

وبخاصة العناصر الموالية للاشراف الذين لم ينسوا إطاحة الفرنسين بالأمير فيصل من حكم سوريا عام ١٩٢٠ ([١٢١])، بالإضافة إلى الدور الفاعل الذى قام به طلاب القانون الدمشقي المسيّسين، وإثارة السياسيين القوميين ([١٢٢]).

كما لعبت الصحف السورية دورًا مهما في تأجيج مشارع السوريين ضد بريطانيا؛ حيث أنها (الصحافة) كانت تستمد معلوماتها من صحافة القاهرة التي اعتادت على معارضة بريطانيا، وصل الأمر إلى درجة أن الصحف السورية كانت تنسخ المقالات كاملة، بجانب ذلك قيام المدارس السورية بالدعاية للتظاهر ضد بريطانيا ([١٢٣]).

العامل الثاني: لم يستمر الوفاق البريطاني الفرنسي الذى شهدته الفترة ١٩١٤-١٩١٨م طويلا ،ولكن سرعان ما إن توقفت العمليات الحربية عاد الصراع بينهما ليطل براسه من جديد فكانت بلاد الشام احدى البقاع التي شهدت هذا الصراع .

القت بريطانيا بالأئمة على ما واجهه بلفور على السلطات الفرنسية في سوريا ، انطلاقا من إن القوى العظمى في الشعوب الصغيرة أداة لتنفيذ مأرب قوى أخرى مناهضة له، وهذا ما حدث من توجيه الفرنسيون للسورين لمواجهة زيارة بلفور لدمشق بالتظاهر ، وذلك من المنظور البريطاني ، فقد بزغ شعور بريطاني واسع النطاق بأن الفرنسيين شجعوا تلك التظاهرات انطلاقا من شعورهم المعادي لبريطانيا، حيث أن البريطانيين منذ أن احتلت فرنسا سوريا ولبنان عام ١٩٢٠ دأبوا على عدم مساندتهم هناك وان البعض منهم كان يرى انه لا فائدة من مساندة الفرنسيين هناك في حين كان هناك فريق يرى في وجود الفرنسيين في سوريا ولبنان يمثل فائدة عظمى لبريطانيا فمن ناحية يخففون من وطأه الغضب العربي على البريطانيين ومن ناحية أخرى يظهر البريطانيين على نحو إيجابي عند مقارنتهم بالفرنسين، وقد علق هربرت صاموئيل المفوض السامي البريطاني في فلسطين قائلا" مهما كان الانتقاد في فلسطين للإدارة البريطانية ربما لا يوجد هنالك منتقد عربي واحد يتمنى إن تستبدل بالإدارة الفرنسية"([١٢٤]) وفى السياق ذاته لعب البريطانيون على عامل فزاعة

الفرنسيين فأشاعوا أنه في حالة انسحاب بريطانيا من فلسطين ستحل فرنسا محلها مما أدى عدم معارضة الانتداب البريطاني بشكل جاد، وجاء رفض بريطانيا لمساعدة فرنسا عن العثور على قتلة الجنرال غورو Guru القائد الفرنسي في سوريا عام ١٩٢٢م ليجسد الخلاف البريطاني الفرنسي علاوة عن اقتناع الفرنسيين بان بريطانيا تقوم بدعم ثورة الدروز في سوريا ١٩٢٥م؛ وأن ساراي كان لديه قناعة بان سلطان الأطرش قائد ثورة الدروز قد التقى بالوكيل البريطاني في عمان عقب اندلاع الثورة مباشرة وربما لتقديم الدعم لها وان ولتر سمارت القنصل البريطاني بدمشق كان متحالفا مع الدروز وادان القصف الجوي الذى قامت به فرنسا في دمشق وأقدم على رفع دعوى ضد هذا العمل حيث أن الدروز كانوا يمثلون بالنسبة لبريطانيا ظهيرا قويا يستطيعوا من خلاله توجيه ضربات موجعه ضد فرنسا، وأن أولوية الدروز تكمن في طردهم من سوريا ولبنان (١٢٥).

ويعود الدعم البريطاني للثوار السوريين إلى حرص بريطانيا الشديد على خلق الاضطرابات للفرنسين في سوريا بغية منع انتقال الاضطرابات ناحية الجنوب أي صوب فلسطين وشرق الأردن ومع ذلك كانت الأوساط الفرنسية الرسمية والصحفية تؤكد أن علاقة باريس مع لندن هي علاقة تحالف وذلك لان المسئولين الفرنسيين رأوا ن التعاون مع بريطانيا هو المفتاح للتعامل مع الدروز لان الإمدادات التي كانت تصل للدروز كانت تأتى عبر شرق الأردن (١٢٦).

في المقابل كان الفرنسيون يستخدمون سنة دمشق أداة لتنفيذ مأربهم(١٢٧) ،ومن ثم رأى الفرنسيون في زيارة بلفور فرصة طيبه لتحويل عداء السوريين إلى بريطانيا ولفت نظرهم بعيدا عن أعمال الثورة السورية القائمة وقت إذ ضد الفرنسيين إلى بريطانيا وكذا توجيه أنظار القوميين السوريين إلى ما هو خارج حدود سوريا بعيدا عن قضية الوجود الفرنسي هناك في الوقت الذي ازدادت فيه إثارة السوريين ضد زيارة بلفور، وأكدت الوثائق البريطانية صراحة أن السطات الفرنسية مسؤوله عما حدث في دمشق، وأضحت في عيون العرب عاجزة عن توفير الحماية الشخصية لضيفها(بلفور)، وأضافت أن السلطة سمحت لنفسها باستخدام العنف

لتخويف المتظاهرين. وميراث المظاهرات لفرنسا كان بمثابة الاستياء الشعبي الناجم عن القمع والخسائر(١٢٨).

وقد ألمحت الصحف البريطانية إلى أن الفرنسيين في سوريا لم يمنعوا المظاهرات التي عارضت وجود بلفور في دمشق مقارنة بأسبوعين قضاها بلفور في فلسطين دون معناه من مظاهرات خطيرة.(١٢٩)وفي هذا السياق ذكرت صحيفة التايمز في ١٢ إبريل تعليقاً على أحداث الشغب في دمشق بمناسبة زيارة بلفور، تقول بأنه ليس من الضروري افتراض أن الشغب كان موجهاً كليًا ضد اللورد بلفور شخصيًا وإنما لبريطانيا(١٣٠).

وتبنى القنصل الأمريكي في دمشق أيضا فكرة أن السلطات الفرنسية لم تبذل كل ما في وسعها لمنع أعمال الشغب، لتذكير بريطانيا ولجنة الانتداب الدائم بوجود شعور معادٍ لبريطانيا بين العرب أيضًا(١٣١)

وتساءل البعض في لندن، لماذا لم توقف الشرطة، من خلال تعليق الجسر فوق نهر بردى أمام الفندق، ليلة وصول اللورد بلفور، نزولاً من المحطة إلى الفندق؟ والى جانب ذلك إذا كانت السلطات الفرنسية تتوقع حدوث اضطرابات، كان ينبغي عليها أن تحذر الحكومة الفلسطينية من أن هذه الزيارة إلى سوريا كانت غير مرغوب فيها(١٣٢).

وفي هذا الصدد كشفت الوثائق النقاب عن أن السلطات البريطانية في فلسطين قد حذرت المسئولين الفرنسيين في سوريا بأن لديها معلومات مؤكدة تفيد بأنه ستتم محاولة اغتيال بلفور في سوريا. ومع ذلك لم يعط المسؤولون في المفوضية السامية الفرنسية أي أهمية لهذه التحذيرات(١٣٣).

إلى جانب ذلك أماطت الوثائق اللثام على أن السلطات الفرنسية في سوريا سمحت للصحافة السورية بالنيل من بريطانيا، والدعاية ضدها، في الوقت الذي كان غير مسموح فيه لتلك الصحف بالدعاية ضد فرنسا، ونتيجة لذلك فقد أبدت بريطانيا اعتراضها لفرنسا على الهجوم الصحفي السوري عليها، وللحد من هجمات الصحف السورية اقترح القنصل البريطاني في دمشق تحذير الصحف السورية بمنع تداولها

داخل مناطق الانتداب البريطاني في فلسطين؛ حيث تعتمد الصحف في جزء كبير من إيراداتها على الاشتراكات من الأشخاص في فلسطين، وينطبق الشيء نفسه على المدارس؛ حيث يتم قمع أدنى مظهر من مظاهر المشاعر المعادية للفرنسيين من جانب الطلاب بسرعة وبدقة، وعلى عكس ذلك سمح بالتظاهر ضد بريطانيا، على سبيل المثال ، في وقت قتل سردار السودان أو وصول اللورد بلفور إلى هنا ، سُمح لطلاب المدارس بإظهار العداء العنيف لإنجلترا، واقترح القنصل البريطاني مواجهة هذه الدعاية من خلال إنشاء مدارس بريطانية في سوريا، بهدف تأسيس جيل غير معادي لبريطانيا (١٣٤).

الخاتمة:

كان تصريح بلفور نقطة تحول في تاريخ الحركة الصهيونية حيث بإصداره بلفور التصريح الذي حمل اسمه والذي بمقتضاه أضحت الدولة اليهودية حقيقة واقعة، وظل يدافع عن هذا المشروع حتى زيارته للمنطقة العربية، واستمر حبيسا لأفكاره التي لا ترى سوى الدفاع عن مشروعه (الدولة القومية اليهودية في فلسطين) متجاهلات عن عمد حقوق أصحاب الأرض الأصليين.

إذا كان التصريح واجه معارضة قوية في ربوع الشام كافة إلا أنه لقي بعض من التأييد من قبل بعض السورين المقيمين في مصر والذين قد ارتبطوا ببريطانيا اقتصاديا، إذ أنهم ينتمون للرأسمالية التجارية التي هاجرت إلى مصر، وسرعان ما إن تحول بعضهم في العقد الثالث من القرن العشرين إلى معارضين لبريطانيا، ومن ثم قابلوا زيارة بلفور إلى المنطقة بالرفض.

أثبتت زيارة بلفور لفلسطين وحدة الشعب العربي بمختلف أعراقه ومذاهبه في معارضتهم لزيارته إذ أنه المتسبب في إحلال شعب مكان آخر، فعزوف العرب عن

استقباله ومنعه دخول الأماكن المقدسة بشقيها المسلم والمسيحي مثلت صفعة قوية في وجهه ، وفي وجه السياسة البريطانية ، ولكنه لم يعبأ بذلك ، ولم يلتفت إليه لوقوعه في غرام مشروع الحركة الصهيونية .

كما أثبتت زيارته لسوريا ولبنان عن فهم بلفور المحدودً، و تقديره الخاطئ للقومية العربية، فالمظاهرات السورية لا تقوض فقط المحاولات الرسمية لرجل مثل بلفور عاش في خيال إمكانية تكوين صداقة عربية صهيونية تعيش في بوتقة واحدة، ولكن المظاهرات قامت أيضا بتبديد الوهم المعتقَد لدى الغرب والحركة الصهيونية بأن القومية العربية ستختفي يومًا ما .

أظهرت زيارة بلفور لسوريا ولبنان الصراع بين فرنسا وبريطانيا حيث وجهت الحكومة البريطانية وصحافتها أصابع الاتهام للحكومة الفرنسية في أنها كانت تقف خلف هذه المظاهرات التي كادت أن تودي بحياة سياسي بريطاني مهم، عن طريق عدم اتخاذ تدابير أمنية لمنع وصول المتظاهرين للفندق وسماحها للصحافة السورية إثارة المواطنين ضد بلفور.

هوامش الدراسة:

(١) ولد آرثر جيمس بلفور Arthur James Balfour في عام ١٨٤٨ بإنجلترا، وهو الابن الأكبر للسياسي البريطاني جيمس ميتلاند بلفور **James Maitland Balfour** ، وابن أخت السياسي سالزبوري *Salisbury* (١٨٣٠ – ١٩٠٣) (Eugene I. Rasor : Arthur James Balfour , 1848–1930 Historiography and Annotated Bibliography , London , 1998 , p.4 .) ؛ (سحر شريف علي إسماعيل : آرثر بلفور والحركة الصهيونية ، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية ، السليمانية ، كردستان ، ٢٠١١ ، ص ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .) بعد حصوله على الشهادة الجامعية في الفلسفة من جامعة كامبريدج (Kenneth Young, Arthur James Balfour: The Happy Life of the Politician, PM, Statesman and Philosopher 1848–1930 (London: Bell, 1963). وبتشجيع من خاله سالزبوري دخل بلفور المعترك السياسي عندما انتخب لعضوية البرلمان عام ١٨٧٤ عن حزب المحافظين، وسرعان ما انغمس في القضايا السياسية, كما عمل رئيسًا لمجلس الحكم المحلي لفترة قصيرة ، ووزيراً لدولة اسكوتلندا ورئيسًا لوزراء إيرلندا، و أصبح رئيساً لمجلس العموم والمسئول الأول عن الخزانة، ووزيرا للمالية بين عامي ١٨٩١ و ١٨٩٢ ومرة أخرى بين عامي ١٨٩٥ و ١٩٠٢ ورئيسا للوزراء ١٩٠٤–١٩٠٦م ;.Dictionary of National Biography, 1922–1930, p.47 Blanche E.C. Dugdale, Arthur James Balfour, first Earl of Balfour, New York, 1937, Vol.1, p.31. Ruddock F. Mackay, Balfour Intellectual statesman, Oxford, Oxford university Press, 1985, pp. 109 – 112. ؛ Barbara W. Tuchman ,Bible and Sword : England and Palestine from bronze age to Balfour , London , 1957, p N199 .

(٢) سحر علي شريف إسماعيل : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٣) حاييم وايزمن : مذكرات وايزمان ، ترجمة محمد رشاد الشهابي ، د.ن ، ١٩٦٦ ، ص ٣٤ ؛ بول مركلي : الصهيونية المسيحية ١٨٩١–١٩٤٨ ، ترجمة فاضل جتكر ، سوريا ، قدمس للنشر، ط٣ ، ٢٠٠٣ ، ص١٠٠ .

(٤) نفسه .

(5) Roy MacLeod and Kay Andrews, 'Scientific Advice on the War at Sea, 1915–1917: The Board of Invention and Research', Journal of Contemporary History, 6(2), (1971), 3–40

(٦) ج.م.ن جفريز : فلسطين إليكم الحقيقة ، ج١ ، ترجمة أحمد خليل الحاج ، الهيئة المصرية العامة للنشر، مصر،١٩٧١ ، ص ١٦٦؛ محمد فيصل عبد المنعم : فلسطين والغزو الصهيوني ، دار الهنا للطباعة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٥٣ .

(7) Herbert Side Botham : Great Britain and Palestine, London , 1937 ,p.29.

(٨) أرسكين تشايلدرز : الحقيقة عن العالم العربي ، ترجمة خيري حماد ، منشورات المكتب التجاري ، لبنان ، ١٩٦٠ ، ص٦٦ .

(9) Katheleen Burk, Britain, America and the Sinews of War (Boston: Allen & Unwin, 1985).

(١٠) علي المحجوبي : جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين ، دار سراس ، تونس ، ١٩٩٠ ، ص ٤٩ .

جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ، ترجمة ناصر الدين الأسد ، إحسان عباس ، دار العلم للملايين ط ٨ ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٣٤٩ ، وما بعدها

؛ Katheleen Burk, Britain, America and the Sinews of War (Boston: Allen & Unwin, 1985).

؛See Jehuda Reinharz, 'The Balfour Declaration and its Maker: A Reassessment', Journal of Modern History, 64 (1992), 464.

(١١) لمزيد من التفاصيل / سحر علي شريف إسماعيل : المرجع السابق ، ص . ص ١٥٣،١٤٥

(12) The National Archives, Kew, UK , Document reference number: CAB 21/58-0004 , secret , G-164 , War Cabinet , :The Zionist Movement: Balfour Declaration , Note by the secretary , October 1917 .

(١٣) سحر علي شريف إسماعيل : المرجع السابق ، ص ١٦٤ – ١٦٥ .

(14) The Times : 24 March 1925 , p.17.

(١٥) سحر على شريف إسماعيل : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(١٦) منوه سالم عبد الله صلاح: موقف الصحافة العربية في فلسطين من الحركة الوطنية ١٩٢٠–١٩٣٥م، رسالة ماجستير غير المنشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤م، ص٢١.

(١٧) أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥، ص. ص٥٧–٥٩.

(١٨) منوه سالم عبد الله صلاح: المرجع السابق، ص٢٢.

(١٩) نفسه، ص ٢٣.

(20) The Times: 21 March 1925,p. 7.

(٢١) حسام السيد ذكى: موقف الأقليات في العالم العربي من تصريح بلفور، بحث ضمن أعمال ندوة الجذور التاريخية لتقسيم العالم العربي، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ٢٠١٩، ص١٧٨.

(٢٢) ستيفن هامسلى لونغريغ : تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقل، دار الحقيقة ، بيروت، د.ت، صـ ٨١.

(٢٣) الزعماء العرب المقيمون في القاهرة هم فوزي البكري وخالد الحكيم وحسن حمادة وآخرون ، جميعهم كانوا سوريون أقاموا في مصر لغرض تكوين نواة لحزب يستخلص القضية العربية من أيدي الهاشميين ويلاحقها في الأوساط المسؤولة بمعزل عنهم ، وكانوا من الموالين للحسين من قبل ولكنهم انفصلوا عنه

خلال الثورة احتجاجا على أساليبه في العمل واستبداده عنهم وتفريطه في الحقوق العربية وتحول هذا الحزب عام١٩١٨ لحزب رسمي باسم حزب الوحدة السورية ، لمزيد من التفاصيل راجع / أنيس الصايغ: الهاشميون والثورة العربية الكبرى، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٦ ، ص١٢٨ .

(٢٤) على مفلح محافظة: صدى تصريح بلفور في الأوساط اليهودية والعربية والعثمانية والدولية ١٩١٧-١٩٢٠م، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، ع٥، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٨، ص١٦٥.

(٢٥) محمود صالح منسي: حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨، ص٤٠٤.

(٢٦) ليسير فتحي: زعامات الحركة العربية ووعد بلفور ١٩١٧-١٩٢٠، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، ع٩، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٩، ص ص٢٦٥-٢٦٦.

(٢٧) نفسه : ص ٢٦٦.

(٢٨) محمود صالح منسي: المرجع السابق، ص٤٠٤.

(٢٩) نفسه، ص٤٠٥.

(٣٠) نهلة حسن الأنصاري: تصريح بلفور وأثره على المجتمع اللبناني ١٩١٨-١٩٣٦، بحث ضمن أعمال ندوة الجذور التاريخية لتقسيم العالم العربي، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ٢٠١٩، ص ص٢١٨-٢١٩.

(٣١) حسام السيد ذكى: المرجع السابق، ص ص١٧٥-١٧٦.

(٣٢) لما جاءت اليهودية بفكرة الوطن القومي قبل عام ١٩٢٥بنصف قرن فكرة الأحياء اليهودي لتكون دعامة هذا الوطن، ورأى المفكرون اليهود أن بعث الآمة اليهودية لا يقوم إلا على بعث المدنية اليهودية من روحية وفكرية. وكانت هذه النظرية نواة الجامعة العبرية، وكان أول من فكر في إنشاء الجامعة هيرمان شابيرو أستاذ الرياضيات بجامعة هيدلبرج. وفي سنة ١٩٠١ أصدر المؤتمر الصهيوني الخامس قرارا بتأييد الفكرة وفي سنة ١٩١٣ قرر المؤتمر الحادي عشر إنشاء الجامعة وبدأ بالفعل تفنيد القرار فاشتريت الأرض ووضعت التصميمات ولكن تلك المساعي توقفت بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤، ولما صدر تصريح بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ بعثت الفكرة من جديد وعهد إلى اللجنة الصهيونية التي جاءت إلى فلسطين في سنة ١٩١٨ بإنشاء الجامعة العبرية وفي يوليو ١٩١٨ وضع وايزمان الحجر الأساسي لبنائها فوق جبل الزيتون في القدس. ثم افتتحت رسميا في سنة ١٩٢٥ , ،عواطف عبد الرحمن : مصر و فلسطين, سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٠، ص ص ١٦٩ – ١٧٠ .

(٣٣) جوني منصور: صدي تصريح بلفور في فلسطين وخارجها: في صدوره في ٢ نوفمبر ١٩١٧ إلى افتتاح مؤتمر فرساي في ١٩ يناير ١٩١٩، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، ع٩، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٩، ص٢٤٣.

(34) Charles William Richard: The Palestinians and British perfidy : the tragic aftermath of the Balfour, Declaration of 1917 ,London,2018 , p.140

(٣٥) جريدة فلسطين (المقدسية) : بتاريخ ٥ فبراير ١٩٢٥ , ص ١.

(٣٦) منوه سالم عبد الله صلاح: المرجع السابق، ص ٧٢.

(37) New York Times , Mar ,29, 1925, p.3.

(38) ibid,Feb 27, 1925, p. 5.

(39) The Times, 18 March 1925, p.18. ,, The Times, 20 March 1925. P.8.

(٤٠) المقطم: بتاريخ ٢٦مارس , ١٩٢٥ , ص ٢.

(41) The Times, 24 March 1925,p. 17.

(٤٢) محمد علي طاهر: لمحات من فروسية قلم فلسطيني، القدس العربي، ع٥٢٣٤، بتاريخ ٢٨ مارس٢٠٠٦، ص١٧.

(٤٣) عواطف عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٩٢. , جريدة السياسة , بتاريخ ١سبمتمبر ١٩٢٩.

(٤٤) استغلت الدوائر الصهيونية حضور أحمد لطفي السيد افتتاح الجامعة العبرية دعائيا وشاركتها في ذلك وكالات الأنباء الغربية والصحف والإذاعات حتى أن رويتر لم تذكر من أسماء من حضروا تلك الحفل إلا اسم لطفي السيد، كذلك علقت صحيفة (بالميستين ويكلي) الصهيونية على ذلك بقولها (إن حضور مندوب مصر هذه الحفلة كان دليلا على أن مصر العاقلة لا ترى في الصهيونية رأي أهل فلسطين. (كوكب الشرق: بتاريخ ٥ مايو ١٩٢٥), ص٣. وأشاد اليهود في مصر باشتراك مصر في افتتاح جامعتهم بالقدس وقد نوه يوسف بوتشو عضو مجلس الشيوخ المصري و أحد اليهود المشتركين في احتفالات الجامعة العبرية بعطف الحكومة المصرية على القضية الصهيونية واستشهد على ذلك بإرسالها أحمد لطفي السيد مندوبا من الجامعة المصرية (المقطم القاهرية : بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٢٥).

(٤٥) طارق البشري: الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢ , الكتاب العربي , القاهرة , ١٩٧٢ , ص ٢٤١ .

(٤٦) عواطف عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ص١٧٣-١٧٤.

(47) The Times, 24 March 1925,p. 17.

(48)F.O,E [2146/1065/65] No. 125. Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain.—Damascus, April 14, 1925 .

(49) Christopher Sykes, Cross roads to Israel ,USA, 1973 , p 73 .

(٥٠) جريدة لسان العرب (المقدسية) : بتاريخ ١٢/أبريل/ ١٩٢٥م، ص٢.

(51) The Times, 2 April 1925, p.14.

(52) Christopher Sykes , Op.cit, p. 73 .

(٥٣) جريدة المقطم (القاهرية)، بتاريخ ٢٨/أبريل/١٩٢٥، ص٤.

(٥٤) جريدة فلسطين (المقدسية): ١/٤/١٩٢٥، ص١.

٥٥() عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين رؤية تاريخية ومعاصرة ١٩١٧ – ٢٠٠٩ , المكتبة الاكاديمية , ط٤ , الجيزة , ٢٠١١ , ص ١٠٧.

(56) Christopher Sykes ,op.cit, p. 73 .

(57) The Times, 28 March 1925, P.12, 7 April 1925, P.13.

(٥٨) المقطم(القاهرية): بتاريخ ١٨ مارس ١٩٢٥ . ص ١، 'The Times, 26 March 1925,p. 12.

(59)The Washington Post: 29 Mar, 1925,p.56

(٦٠) المقطم (القاهرية): بتاريخ ٢٧ مارس، ص٢

(61) New York Times: Mar 26, 1925; p. 4

(62) Charles William Richard, Op.cit, p.140.

(٦٣) رونالد ستورس : مذكرات بعنوان توجهات بريطانية – شرقية ، ترجمة رءوف عباس ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٥٥١ .

(٦٤) المقطم (القاهرية): بتاريخ ٢٧ مارس، ص٢ .

(٦٥) رونالد ستورس : المرجع السابق ، ص ٥٥٢ .

(66) The Times : 26 March . p.12.

(٦٧) منوه سالم عبد الله صلاح: المرجع السابق، ص ٧٣.

(٦٨) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين , سلسلة عالم المعرفة , الكويت , ١٩٨٠ , ص ص ١٧١ – ١٧٢

(٦٩) البلاغ القاهرية : بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٢٥. ص٣.

(70)Charles William Richard ,Op.cit, p.140

(٧١)البلاغ القاهرية : بتاريخ ٢٥ مارس ١٩٢٥ . ص٣.

(٧٢) أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية ، ص ٧٧.

(73) The Times, 18 March 1925, p.18.

(٧٤) منوه سالم عبد الله: المرجع السابق، ص٧٣.

(75) The Times, 22 June 1925.p.17.

(76) The Times,8 April 1925,p.15.

(77) ibid.

(٧٨) البيان "المقدسية": بتاريخ١٦ أبريل ١٩٢٥م ص١.

(79)The Times, 2 April 1925,p .13.

(80) Michael Provence : The Last Ottoman Generation and the Making of the Modern Middle East , London, 2017 p.157.

(٨١) (المقطم القاهرية): بتاريخ ٣١ مارس ١٩٢٥ ص ٥

(82) F. O. E 2146/1065/65] No. 125, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain.—Damascus,14 April 1925

(٨٣) (الأهرام القاهرية) بتاريخ ٢٣/مارس/١٩٢٥م.

(٨٤) المقطم القاهرية: بتاريخ ٣أبريل ص ١.

(85)Christopher Sykes, op. cit. p.73, Manchester Guardian: 13 May 1925;.

(86) Michael Provence , Op.cit, ,p.158.

(٨٧) الأهرام (القاهرية)، بتاريخ ٩ أبريل ١٩٢٥م ص٢.

(٨٨)عبد الهادي البكار : صفحات مجهولة من تاريخ سورية الحديث (ذكريات، معلومات، صور) , دار الذاكرة للطباعة والنشر والتوزيع , مصر , ٢٠٠٣ , ص ٢٨٢ .

٨٩( )جريدة فلسطين المقدسية / بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٢٥، صـ١.

(٩٠) جريدة ألف باء الدمشقية بتاريخ ٧ أبريل ١٩٢٥م.

(٩١) جريدة فلسطين المقدسية بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٢٥، صـ١.

٩٢() عبد الهادي البكار : المرجع السابق , ص ٢٨٢ .

(93) F. O. E 2146/1065/65] No. 125, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain.— Damascus, April 14, 1925

(٩٤) الأهرام القاهرية بتاريخ ١٠ أبريل ١٩٢٥. ص١.

(95) F. O. E [2146/1065/65] No. 125, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain.— Damascus, April 14, 1925

(96) The Times: 12 April 1925. P.13.

(97) PHILIP S. KHOURY :SYRIA AND THE FRENCH MANDATE The Politics of Arab Nationalism 1920-1945, Princeton, New Jersey , 1989, pp.143-145._ Los Angeles Times 10, Apr, P. 1.

(٩٨) الأهرام القاهرية ١٠بتاريخ /أبريل/١٩٢٥م. ص١.

(99)New York Times 9,Apr,1925 p. 2.

(100) F. O. E [2146/1065/65] No. 125, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain.— Damascus, 14,April, 1925

(١٠١) اللطائف القاهرية بتاريخ ١١ أبريل ١٩٢٥م . ص١

(102)I.P.I.D ,[2246/1065/65] , Eastern, Confidential , No. 1, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain., April 24, 1925

103() F. O. E [2146/1065/65] No. 125, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain.— Damascus, 14 ,April , 1925 .

(104) New York Times : 11, Apr , 1925 , p. 1

(١٠٥) الأهرام القاهرية بتاريخ١٢ أبريل ١٩٢٥م ص١؛

New York Times 11,Apr , 1925, p. 1.

(106) F. O.E, [2246/1065/65] , Eastern, Confidential , No. 1, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain.,24 April, 1925 .

(107)The Times, 11 April 1925, p.10.

(١٠٨) اللطائف القاهرية بتاريخ ١٢/أبريل/١٩٢٥م.ص٢

(109)F. O., [E2246/1065/65] , Eastern, Confidential , No. 1, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain., April 24, 1925 .

(١١٠)(الأهرام القاهرية) : بتاريخ ١٢/أبريل/١٩٢٥ ص١

(١١١) (اللطائف القاهرية): بتاريخ ٢٧/أبريل ١٩٢٥ ص١

(١١٢) رونالد ستورس : المرجع السابق ، ص ٥٥١ .

(113) F.O.E [2696 1065 65] No. 12H. Consul-General Satow to Mr. Austen Chamberlain, Beirut, 26,April , 1925.

(114) The Times : 16 April 1925. P.8

(١١٥) محمد كرد علي : خطط الشام ، ج٣ ، د.ن ، دمشق [١٩٢٥ ، ص٢٠٠ .

(١١٦) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين , سلسلة عالم المعرفة , الكويت , ١٩٨٠ ، ص ص١٧٣-١٧٤.

(117)-Christopher Sykes , Op.cit, p.74.

(118) The Times : 12 April 1925 . p.13 ، Michael Provence :Op.cit, pp. 156—159 .

New York Times : 13 April . p.4.

(١١٩) عبد الهادي البكار : المرجع السابق , ص ٢٨٤.

(120) PHILIP S. KHOURY : Op.cit, pp.143-145.

(121) The Times: 12 April 1925. P.13.

(122) F.O. E 3567/3440/89, No. 127. Consul Smart to Mr. A usten Chamberlain.—(17 June .), Damascus, Syria-, 4 .June . 1925.

(123) ibid

(١٢٤) جيمس بار : خط في الرمال، ترجمة سلافة الماغوط ، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٥ .صـ ١٦٩.

(١٢٥) نفسه ، ص ١٧٠

(١٢٦) نفسه ، ص ١٨٥-١٨٧

(١٢٧) نفسه ، ص ١٨٣-١٨٥؛ جورج أنطونيوس: المرجع السابق ، ص ٤١٥

(128) F. O. E 2146/1065/65] No. 125, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain.—Damascus,14, April , 1925

(129) F. O. E 2146/1065/65] No. 125, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain.—Damascus,14, April , 1925

(130) The Times: 12 April 1925. P.13.

(131)PHILIP S. KHOURY , Op.cit, p.144.

(132) F. O. E [2146/1065/65] No. 125, Consul Smart to Mr. Austen Chamberlain.—Damascus, 14,April , 1925

(133) ibid

(134) ibid